Epicurs Happiness Theory

Dr. Suleiman Al-Daher*
Hanaa Ammar**

(Received 18 / 8 / 2019. Accepted 5 / 11 / 2019)

□ ABSTRACT □

The theory of happiness occupies an important place in the history of philosophical thought. It has attracted attention in the history of human and moral thought and the philosophers went on to interpret it in different and different direction.
The philosophical sciences are classified in three types: logic, nature, morality, and the theory of happiness comes within philosophy at the Epicririan.
Epicor addressed the issue of happiness as a delicate and profound treatment stemming from the Greek nature of life, social and economic crises and political collapse as a result of the wars with the Macedonians, seeking the nature of happiness and all that brings pleasure and pleasure to man, relieves burdens of misery and fears, showing him the path of happiness.

Kew Words: Happiness – pleasure – pain – tranquility – Ataraxie – Desire.

* **Professor, Department of philosophy, Faculty of Art and Humanities, University of Damascus, Damascus, Syria.**
** **Ph D. Department of philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Unversity of Damascus, Damascus, Syria.**

نظرية السعادة عند أبيقور

الدكتور سليمان الضاهر [*]

هناء عمّار [**]

(تاريخ الإيداع 18 / 8 / 2019. قبل للنشر في 5 / 11 / 2019)

□ ملخّص □

تشغل نظرية السعادة مكانة مهمة في تاريخ الفكر الفلسفي، وقد لاقت اهتماماً كبيراً عبر تاريخ الفكر الإنساني والأخلاقي، وذهب الفلاسفة في تفسيرها اتجاهات مختلفة ومتباينة.

صنفت الأبيقورية العلوم الفلسفية على ثلاثة أنواع: المنطق، الطبيعة، الأخلاق، وتأتي نظرية السعادة في إطار الفلسفة الأخلاقية عند الأبيقوريين.

وقد عالج أبيقور مسألة السعادة معالجةً دقيقة وعميقة، نابعة من طبيعة الحياة اليونانية المترددة بين الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والانهيارات السياسية نتيجة الحروب مع المقدونيين، باحثاً عن طبيعة السعادة وكل ما يجلب اللذة والسرور للإنسان، مخففاً عنه أعباء الشقاء والمخاوف، مبيناً له طريق السعادة.

الكلمات المفتاحية: السعادة – اللذة – الألم – السكينة – الأتراكسيا – الرغبة.

[*] **أستاذ – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق – دمشق.**

[**] **طالبة دراسات عليا (دكتوراه) – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق – دمشق.**

مقدمة:

يعتبر مفهوم السعادة محور الأخلاق عند المدرسة الأبيقورية، وهو المرآة التي نقرأ من خلالها مجمل فلسفة أبيقور، هذه السعادة التي كانت تجربة شفاء للمجتمع اليوناني الذي كان يعاني من ويلات الحرب، فكان مفهوم السعادة عبر مبدأ اللذة؛ الذي يدعو الإنسان إلى تحصيل اللذة واجتناب الألم، هادفاً إلى إيصال الإنسان إلى التحرر من مخاوفه والوصول إلى طمأنينة النفس وهدوء الروح، إضافةً إلى سلامة الجسد.

أهمية البحث وأهدافه:

يناقش البحث نظرية أبيقور في السعادة، ويقوم بتحليل المواقف المتعددة منها، ويرصد علاقة السعادة بالفضيلة، كاشفاً عن أسمى درجات السعادة (الأتراكسيا) لدى يهدف بحثنا إلى البحث عن طبيعة مفهوم السعادة، وتبيان أسباب شقاء الإنسان وتوضيح رغباته وحاجاته ليحسن إدارتها وتنظيمها، ممهداً له الطريق للوصول إلى السعادة.

منهجية البحث:

لبحث الإشكالية السابقة سنعمد إلى استخدام عدة مناهج تناسب طبيعة البحث، أولها: المنهج التحليلي ليتسنى لنا الكشف عن حقيقة السعاد عند أبيقور، وكل المسائل المتعلقة بها، ثم اعتماد منهج التركيب؛ لإعادة بناء تركيب الأفكار التي كشفنا عنها بالتحليل، واستكمالاً لذلك لابد من اعتماد المنهج المقارن لتبيان انعكاسات نظرية السعادة الأبيقورية على الفلسفات اللاحقة.

أولاً: طبيعة مفهوم السعادة:

إن الحديث عن طبيعة السعادة، يعدّ مقدمة ضرورية لاستقامة البحث، وتبيان جذر السعادة في اللغة، وتعريفها في الاصطلاح والفلسفة.

فما هي السعادة؟ وهل هناك اتفاق في آراء الفلاسفة حول طبيعة السعادة وتعريفها؟

أ- السعادة لغةً: إن مفهوم السعادة في اللغة اليونانية تتألف من مقطعين الأول "Daimon" وهو بمعنى الروح، والثاني "eu" وهو بمعنى الخير، وباجتماعهما يعنيان الروح في وضع الملائم المستقر، والسعادة عند اليونان هي غاية الحكمة، والحكيم هو السعيد "eduaimon"[1].

وفي اللغة العربية تشتق السعادة من الفعل سَعَدَ، وسعد، سعادةً فهو سعيد وجمعها سعداء، وحسب "ابن منظور: "**السعد: اليمن، وهو نقيض النحس. والسُّعُودَةُ خلاف النُّحُوسَةِ؛ والسعادة خلاف الشَّقَاوَةِ. يقال: يومُ سَعْدٍ ويوم نَحْسٍ**"[2].

و"ابن فارس" يرى أن السين والعين والدال (سعد) أصلٌ يدل على خير وسرور، خلاف النّحس، ويشتق من هذا الجذر اللغوي "سعد"، الساعد هو الذراع إذ أن ساعد الإنسان ذراعاه، وسعود النجم عشرة: مثل سعد الذابح وسميت سعوداً ليمنها وبركتها، والسعد: هو الرائحة الطيبة[3].

---

(1) انظر: وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة: القاهرة، 2007، ص348.

(2) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف: القاهرة، 1981، ص2011.

(3) انظر: ابن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: بيروت، 1979، ج3، ص75.

نلاحظ أن الدلالات اللغوية لمفهوم السعادة، تتفق على أن السعادة هي نقيض للشقاء والنحوسة والتعاسة، وتتوافق مع اليمن والخير والرضى واستقرار الروح.

ب- السعادة في الاصطلاح والفلسفة:

تتعدد دلالات السعادة في الاصطلاح بحسب حاجات الناس، فمنهم من يراها في الصحة الجسدية، وآخرون في الصداقة، ومنهم من يراها في إشباع الرغبات واللذة، والسعادة في "المعجم الفلسفي" تُعرف بأنها "**حال تنشأ عن إشباع الرغبات الإنسانية كماً وكيفاً، وقد تنمو إلى مستوى الرضا الروحي ونعيم التأمل والنظر، وبذا تختلط بالغبطة وإن كانت هذه أدوم وأسمى**"[4].

والسعادة أحوال تتعاقب على النفس، وتتصل السعادة باللذة وإشباع الرغبات، وقد ترتبط السعادة بمواقف خارجية تزول بزوالها، أو بمواقف ذاتية نابعة من ذات الشخص، والسعادة الحقيقية تحصل للإنسان بامتلاك الفضائل والاعتدال، "**والسعادة لا تنال إلاّ بالعلم والعمل وأولى مراتب العلم معرفة النفس وقواها وأخلاقها، وأولى مراتب العمل مجاهدة النفس بتزكيتها**"[5].

وقد تكون السعادة في الشعور بالرضا وطمأنينة النفس أو تحقيق الذات، أو هي شعور بالبهجة واللذة.

نخلص من هذه التعريفات إلى أن مفهوم السعادة مفهوم نسبي، متغير وفقاً لطبيعة الزمان والمكان، ويختلف من شخص لآخر، فلا يوجد تعريف جامع مانع له؛ ولهذا تختلف آراء الفلاسفة حول السعادة وفي تفسير مفهومها وهي: عند "سقراط": التمسك بالفضيلة. وعند "أفلاطون": هي الخير الأسمى الذي يصل إليه الإنسان من خلال الموازنة بين قوى النفس وفضائلها المقابلة لها؛ أي الحكمة والشجاعة والعفة. والسعادة وفق "أرسطو" هي "**الخير الأعظم، وهذا الخير كامل في الفضيلة وموضوعها المبادئ الأولية**"[6].

والسعادة عند "أرستيب" – صاحب المدرسة القورينائية وهي اللذات الحسية. أما عند "أبيقور" إن اللذة هي مبدأ أو غاية السعادة التي تكون "**في تحقيق المزيد من الرضا والسكينة للنفس**"[7]، أي أن السعادة هي المتعة واللذة التي تتجه صوبها كل أفعالنا من أجل الحصول على طمأنينة النفس من خلال الاعتدال بإشباع الرغبات والابتعاد عن كل ما يجلب الألم.

وإن مفهوم السعادة عند فلاسفة الإسلام، جاء في عدة اتجاهاتها، تقارب في مضمونها ما ورد في الفلسفة اليونانية، وتقوم على ضبط أهواء النفس في سبيل الوصول إلى السعادة الحقيقية في الدنيا الآخروية، فالسعادة الدنيوية زائلة، لهذا يجب علينا تطهير النفس من شرور الحياة واتباع الخير والفضيلة. وإن "الكندي" يرى أن السعادة هي طهارة النفس والتخلص من علائق العالم المادي من لذات ورغبات حسية، وصولاً لحياة التأمل النظري؛ فالسعادة هي معراج النفس إلى عالم المعرفة الحقة[8].

---

(4) مدكور، إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: القاهرة، 1983، ص97.

(5) حنفي، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي: القاهرة، ط3، 2000، ص411.

(6) وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، ص349.

(7) قابيل، عبد الحي محمد، المذاهب الأخلاقية في الإسلام "الواجب والسعادة"، دار الثقافة للنشر: القاهرة، 1984، ص156.

(8) انظر: مراد، سعيد، نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: القاهرة، 2001، ص22-ص24.

أما "الفارابي" يتفق مع "أرسطو" بأن السعادة هي الخير الأسمى أو الفضيلة التي تطلب لذاتها، فكلما سعى الإنسان إلى بلوغ الخير لذاته، اكتملت سعادته، وقد يظن الناس خطأً أن السعادة في الثروة أو التمتع باللذات أو في السلطة والجاه، إلاّ إنها في حقيقتها هي "**التي تؤثر للأجل ذاتها (...) وكل واحد يعتقد في الذي يراه سعادة على الإطلاق أنه هو الأثر والأعظم خيراً أو الأكمل**"[9].

وعند "ابن سينا" تكون السعادة في اكتساب الخيرات والكمالات، والترفع من كل ما هو حسي "**وبقدر ما تكون الأنفس متجردة عما هو حسي مقبلة على كل ما هو عقلي يحصل لها التدرج والرقي في مراتب السعادة**"[10].

و"مسكويه" يرى أن الإنسان كلما ابتعد عن صحبة الأشرار، واقترب من الأخيار كلما امتلك قدراً أكبر من السعادة، فالسعادة: هي الخير بالإضافة إلى صاحبها، وهي كمال له "**فالسعادة إذاً: خير ما، وقد تكون سعادة الإنسان: غير سعادة الفرس، وسعادة كل شيء في تمامه وكماله الذي يخصه**"[11].

ويرى الفلاسفة المحدثون أمثال "كانط" بأن السعادة هي الواجب الأخلاقي، ويرجعها "مِلْ" إلى المنفعة العامة أو سعادة الكل، أما "ديكارت" يرى أن الإنسان هو الذي يتحكم في ما يشعر به من سعادة أو شقاء.

وفي علم النفس السعادة هي الشعور الذي يغلب عليه الطابع الانفعالي، كالشعور بالبهجة الممزوجة بالتفاؤل أو الرضا والاستمتاع بالحياة وغيرها من المشاعر الإيجابية؛ فالسعادة إذن حالة نفسية وليست ناحية مادية[12].

من جملة التعريفات السابقة نرى تفاوتاً في تعريف السعادة، وهذا التفاوت يتناسب مع طبيعة السعادة التي يطلبها كل إنسان وفقاً لاحتياجاته، فقد تكون سعادة مادية أو حسية، عقلية أو انفعالية وقد تكون متخيلة، فهي مفهوم نسبي ومتغير من إنسان لآخر، لهذا كان من العسير من الناحية الفلسفية وضع تعريف موحد للسعادة نهتدي به ونتخذه أساساً في تفسير نظرية السعادة عند أي فيلسوف لاختلاف تفسيرهم لهذا المفهوم.

ثانياً: السعادة عند أبيقور:

أسس أبيقور[13] الأخلاق بصورة عامة ونظريته في السعادة بصورة خاصة على مبدأ اللذة (Pleasure)، واللذة: هي التحرر من الألم الذي هو نقيضها، فكانت اللذة هي مبدأ السعادة عند أبيقور، لا بل إنها الخير الأسمى المنشود في الحياة؛ فاللذة هي مصدر كل خير، وعن طريقها نتجاوز كل ما يسبب لنا الحزن والأسى والألم والشقاء، وصولاً إلى السعادة "**إن اللذة هي ألف باء الحياة السعيدة. واللذة هي الخير الأول لنا**"[14].

---

(9) الفارابي، رسالة التنبيه على سبيل السعادة، دراسة وتحقيق سحبان خليفات، الجامعة الأردنية: عمان، 1987، ص60.

(10) مراد، سعيد: نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام، ص58.

(11) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق ابن الخطيب، نشر مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ، ص87.

(12) انظر: أراجيل، مايكل، سيكيولوجيا السعادة، ترجمة فيصل عبد القادر يوسف، مراجعة شوقي جلال، عالم المعرفة سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير، 1993، ص10، ص11.

(13) ولد أبيقور بجزيرة ساموس عام (341)ق.م، وتوفي عام (270)ق.م، أسس المدرسة الأبيقورية (306)ق.م، واستمرت مدرسته أكثر من ستة قرون، وقد قسم فلسفته إلى منطق وطبيعيات وأخلاق، وخلف لنا مؤلفات كثيرة، ضاع أغلبها، ولم يبق منها سوى ثلاث رسائل. رسالة إلى هيرودوت تضمنت مختصراً في الفلسفة، ورسالة إلى بيتوكليس تكلم فيها عن الظواهر السماوية، ورسالة ثالثة إلى منيكايوس في الأخلاق. انظر: مطر، أميرة حلمي، الفلسفة اليونانية "تاريخها ومشكلاتها"، دار قباء للطباعة والنشر: القاهرة، 1998، ص359–ص361.

(14) زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي: بيروت، 1988، ج1، ص32.

إذن السعادة في التصور الأبيقوري هي اللذة وتجنب الألم، هذا التصور الذي يتوافق مع طبيعة الإنسان الذي يتجه نحو كل ما يجلب له اللذة والسرور أو الخير، ويبتعد عن كل ما يبعث الآلام والهموم، وبالتالي كل لذة خير، وكل ألم شر، والسعادة الحقيقية عند أبيقور تكون في طمأنينة النفس وسلامها الداخلي، انطلاقاً من تلبية الإنسان لحاجاته ورغباته الجسدية، وصولاً إلى خير الروح وهو السكينة والطمأنينة، فالسعادة: "**ليست عبارة عن مجرد لذات الحواس، بل هي راحة القلب وعافية البدن (...) أن الخير الكامل هو اجتماع هذين الشيئين في آن واحد**"[15].

بإمكاننا الآن تحديد طبيعة السعادة التي نادى بها أبيقور، بأنها مجموع اللذات التي يحصلها الإنسان في سبيل تحقيق المزيد من الرضا والسكينة للنفس.

والسؤال هنا بما أن اللذة تعني انتفاء كل ألم، وكل اضطراب في النفس، كيف يكون الإنسان سعيداً؟ وما الطريقة المؤدية لتحصيل أكبر قدر ممكن من اللذة؟ وما السبيل للوصول إلى السعادة الحقيقية التي هي جوهر الأخلاق الأبيقورية؟

لابد من الإشارة بدايةً، بما أن أصل كل فعل أخلاقي – حسب أبيقور – هو تحصيل اللذة واجتناب الألم، إلاّ أن هذا لا يعني أن اللذة التي نادى بها أبيقور هي اللذة بالمعنى الرائج الذي لا يخرج عن الانغماس في الملذات والرغبات والحاجات الشهوانية، وإنه يقصد فيها اللذات المتوازنة بين حاجات الجسد والنفس، "**إن اللذة الأبيقورية عبارة عن توازن بين مختلف أعضاء الجسم الحي ومختلف وظائفها، ذلك التوازن الذي يعبر عن صحة الجسم وسلامته وعن انعدام الشعور بالألم. فاللذة التي يتحدث عنها أبيقور تقتضي إذن غياب الألم، إذ يؤكد فيلسوفنا على أن ما يقصده باللذة ليست تلك اللذة الخاصة بالفساق والمتهتّكين بقدر ما هي اللذة المتمثلة في غياب الألم وانعدام الارتباك**"[16].

اللذة إذن ليست في إشباع الرغبات والشهوات وإرضائها بقدر ما هي العيش بدون ألم، والوصول إلى السعادة، وهذه غاية الأخلاق الأبيقورية – تجنب الألم – ولتجنب الألم والموازنة بين اللذات، لابد للإنسان أن يعرف أنواع الرغبات والاحتياجات اللازمة وغير اللازمة له في طريق الوصول إلى السعادة، لهذا ميز أبيقور بين ثلاثة أنواع للرغبات الإنسانية، حتى يكون الإنسان مدركاً لرغباته الحقيقية وهي:

1– رغبات طبيعية وضرورية: وتكون في تلبية حاجات الجسم الأساسية، من مأكل ومشرب وبأقل قدر ممكن يكتفي فيه بكأس ماء يدفع به العطش، أو كسرة خبز يسد فيها الجوع، لهذا كان ينصح أتباعه بألاّ يسرفوا في كل الأكل خشية سوء الهضم ولا في الشراب، خشية ما يحدث صباح اليوم التالي[17].

2– رغبات طبيعة وغير ضرورية: كالزواج وإنجاب الأولاد، والتنويع في ألوان الطعام والشراب، ولا ضرر حسب أبيقور من الاعتدال في إشباعها بين الحين والآخر وتجنب الإفراط.

3– رغبات غير طبيعية وغير ضرورية: كالشهرة والمال والسلطة، ويجب على الحكيم الطامح في الوصول إلى السعادة أن يبتعد عن هذا النوع من الرغبات، لأنها تفسد هدوء النفس وتثير غيرة وحقد الناس وتتعارض مع غاية السعادة وهي تجنب الآلام والهموم النفسية أو ما سماه أبيقور بالأتراكسيا (Ataraxia)[18].

---

(15) **المليطي، طاليس، تاريخ الفلاسفة، ترجمة السّيد عبد الله حسين، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة، 2007، ص181.**

(16) **أبيقور، الرسائل والحكم، دراسة وترجمة جلال الدين سعيد، الدار العربية للكتاب: تونس، 1991، ص114.**

(17) **انظر: زقزوق، محمود حمدي، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم: بيروت، ط3، 1983، ص80، وراجع أيضاً: جعفر، عبد الوهاب، مذكرة في فلسفة الأخلاق، جامعة الإسكندرية، 1991، ص124.**

وعلى الإنسان أن ي شبع الرغبات الطبيعية والضرورية بقدر ما تتطلب، وألاّ يلغي النوع الثاني منها وأن يكون مقتصداً في إرضائها من آن إلى آخر فتزيده حكمة وعليه أن يبقى حذراً من الخضوع لها وتلبيتها بشكل دائم، أما النوع الثالث يجب علينا أن يعرض عنه بشكل كامل لأنه مصدر كل ألم وحسرة. غذ قد يخيل للمرء أن تحصيل أكبر قدر من اللذة يجلب له السعادة، وهذا ليس بصواب؛ لأن تجاوز الحدود في تحصيل اللذة يؤدي إلى نتائج لا تحمد عاقبتها، فضلاً من اضطراب النفس والآلام. وفي هذا إشارة إلى:

1- حياة الزهد والتقشف التي كان يحياها أبيقور، ويدعو أتباعه إلى انتهاجها في سبيل الحفاظ على القدر الأكبر من السعادة وطمأنينة النفس أو الأتراكسيا. "**ولعل من الغريب حقاً، أن يكون الداعية إلى اللذات الحسية العقلية زاهداً، في متع الدنيا وزينتها، فتوفير الأمن الباطني والابتعاد عن كل ما يثير الانفعال ويجلب المتاعب، يقتضي في النهاية تجنب اللذات المحمومة، والدخول إلى حياة الزهد والحرمان**"[19].

2- إن اللذة التي نادى بها أبيقور لذة نسبية وليست مطلقة، لأنها تقاس بالألم المقابل لها، أي إن مقياس الخير هو اللذة ومفارقة الألم، اللذة القائمة على إشباع الضروري منها، أي تقييدها؛ لأن خضوع النفس لنظام صارم لا يقلل من سعادتها لا بل إنه يمنحها السعادة الحقيقية الخالية من القلق والخوف، وفي هذا تشابه بين سقراط وأبيقور، في تجنب الرغبات والشهوات وتقييدها؛ لأنها ليست سعادة النفس.

نتلمس من ذلك دعوة أبيقورية إلى الاقتصاد في اللذات وتنظيمها، حتى نحصل على السعادة، واستناد على ذلك، ميز أبيقور بين نوعين من اللذات:

1- لذة الحركة: وهي اللذات الجسمية سريعة الزوال، تثيرها فينا نوازع الجسم التي تتطلب الإرضاء، كلذة الطعام والشراب؛ أي هي الشعور بالسعادة بعد إشباع حاجة معينة.

2- لذة السكون: وهي اللذات العقلية والروحية مثل التأمل، وحب الجمال والعبادة الروحية التي تتصف بأنها لذات هادئة ودائمة، تمنح النفس الشعور بالطمأنينة، والخلو من كل ألم وحسرة أو قلق واضطراب وإن الخلو من الألم هو قمة اللذة وأعلى درجاتها، التي تجعلنا ننعم بجسد خال من الألم ونفس خالية مما يقلقها ويعكر صفوها. وهذا ما يؤكده أبيقور في رسالته إلى مينيسي عندما قال: "**نحن لا نحتاج إلى اللذة إلاّ عندما يكون غيابها سبباً في الشعور بالألم، في حين أن غياب الشعور بالألم، لا يجعلنا بحاجة إلى اللذة**"[20].

وهذه اللذة الساكنة هي ما سماه أبيقور باللذة السالبة للألم أو الأتراكسيا وهي أفضل من لذائذ الجسم الحادة وسريعة الزوال، فإن خير اللذائذ هو طمأنينة النفس وراحة البال؛ لأن سعادة الإنسان تعتمد على حالته النفسية وصفاته الخلقية، أكثر من اعتمادها على المال والسلطة والطموح ونحوها من الأمور الخارجية التي تعين على السعادة، باختصار يقدر

---

(18) الأتراكسيا: مصطلح يوناني يعني نفي الاضطراب، والانفعال، والخوف، كما يعني حالة السكون واللامبالاة التي يكون عليها المرء عندما يحصّل السعادة أو الحكمة الحقيقية، فيزدري الإنسان اللذات الوقتية المشبعة لشهوات ورغبات وحاجات الجسد، ويعيش الزهد، وتلك لذة ليست كاللذات الحسية، إنها لذة نفسية نستشعرها من داخلنا وحالة اكتفاء ذاتي عن كل بهرج الدنيا، فعندئذ لا يكون هناك ألم ولا تنعم، وإنما هذه الحالة من السكينة والسلام الداخلي. انظر: حنفي، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص20، وراجع أيضاً: مطر، أميرة حلمي، الفلسفة اليونانية "تاريخها ومشكلاتها"، ص366.

(19) رشوان، محمد مهران، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة العربية، دار قباء للطباعة: القاهرة، 1998، ص97-ص98.

(20) أبيقور، الرسائل والحكم، "رسالة إلى مينيسي"، ص205، وراجع أيضاً: جعفر عبد الوهاب، مذكرة في فلسفة الأخلاق، ص150.

الأبيقوريون اللذائذ السلبية ويجعلونها أكبر همهم لأنها مصدر لطمأنينة العقل، والهدوء والبعد عما يسبب القلق والاضطراب[21].

باختصار السعادة هي: مجموع اللذات التي يحصلها الإنسان في سبيل تحقيق المزيد من الطمأنينة والسكينة للنفس؛ أي إن السعادة ما هي إلاّ تحرر المرء من سلطة الحاجات والرغبات، ومن الألم وانفعالات النفس واضطرابها، لينعم بهدوء البال وراحة النفس، وهذه هي الحياة السعيدة التي دعا إليها أبيقور، حياة هادئة، مستقرة، خالية من المخاوف والهموم، تقوم على الاعتدال والموازنة بين رغبات النفس، ولهذا وضع أبيقور أربعة قواعد لتحقيق السعادة وتحصيل أكبر قدر من اللذة العقلية الخالية من الألم وهي كالآتي:

1- طلب اللذات التي لا يعقبها ألم.

2- الابتعاد عن الألم الذي لا يقود إلى أية لذة.

3- رفض اللذة التي تحرمنا من لذة أكبر، أو قد تسبب من الألم أكثر مما تجلب من اللذة والمتعة.

4- قبول الألم الذي ينهي ألماً أشد منه أو يعقبه لذة كبرى[22].

مجمل القول إن نظرية السعادة الأبيقورية القائمة على مبدأ اللذة، تنفي لنا صورة اللذة الشهوانية المنكبة على تحصيل كل أنواع الملذات الحسية، إنها لذة النفس المولدة للسعادة المتأتية من الحكمة والاعتدال في إشباع الرغبات وممارسة طاقات العقل التي تجعل الإنسان حكيماً وفيلسوفاً سعيداً، بعيداً عن الألم واضطرابات النفس وانفعالاتها؛ فاللذة هي: ممارسة ما يحقق السعادة.

وفي التالي سنبحث في الأسباب المعيقة لتحصيل السعادة.

ثالثاً: معوقات السعادة:

انعكست الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي تعاني منها المدن اليونانية – بسبب سيطرة المقدونيين على الحكم – على أفراد المجتمع إذ أصبحت صورة الحياة مرعبة متجسدة في الخوف من غضب الآلهة وتلاعبها بمصير البشر، والقلق والخوف من الموت وانتظار العقاب في الآخرة، فضلاً عن حالة الاضطراب والذعر التي انتابت الناس خوفاً من الأشرار؛ إذ أصبح الإنسان يتق شره أخيه الإنسان، وهذا يتفق مع الصورة العامة للإيمان بالآلهة كانت مقترنة "**بإثبات تدخلها في شؤون البشر وتخطيطها لمصيرها وفقاً لأهوائها الخاصة، إلاّ أن العامة لم يضعف إيمانها بالآلهة ولم تسترح من مشاعر الخوف والأمل العالق بهذا الإيمان، فضلاً عن كون خوف العامة من الآلهة لم يكدر حياتها**

---

(21) انظر: عثمان، صلاح الدين، الأخلاق ومذاهبها، مطبعة جامعة النيلين، الخرطوم، 1995، ص110–ص111، وانظر أيضاً: أمين، أحمد، كتاب الأخلاق، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 1931، ص37.

(22) انظر: قابيل، عبد الحي محمد، المذاهب الأخلاقية في الإسلام "الواجب – السعادة"، ص157. ولابد من الإشارة في هاذ الموضع إلى أن أبيقور استخدم كلمة لذة بمعانٍ أربع كما وضح ميرلان Merlan: 1- اللذة الجسمية الصادرة عن دافع خارجي.

2- اللذة الجسمية المنبعثة من داخل الجسم.

3- اللذة العقلية الصادرة عن حافز خارجي.

4- اللذة العقلية المنبعثة من داخل العقل ذاته.

وإن المعنى الأول يقابل كلمة لذة، أما المعاني الثلاثة، فإنها تقابل كلمة فرح؛ لذلك فإن فلسفة أبيقور أقرب إلى فلسفة السعادة أو الفرح، منها إلى فلسفة اللذة. انظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، ص33.

الحاضرة فحسب، بل جعلها تغتم لما ينتظرها من عذاب الآخرة، فالموت عندها ليس النهاية وإنما البداية، بداية الأحزان والآلام والعذاب المؤبد"[23].

إذن إن الخوف من الآلهة والموت، قد لعب دوراً كبيراً في سلب الناس لسعادتهم وطمأنينتهم واستقرارهم، لهذا أخذ أبيقور على عاتقه إزالة مخاوف الناس وتبديدها، لأنها هي العوائق التي تمنع الإنسان من الوصول إلى السعادة (الأتراكسيا) والعيش بسكينة وهدوء، دون قلق وألم أو خوف.

وبالتالي معوقات السعادة حسب الأبيقورية هي:

1- الخوف من الآلهة: يرى أبيقور أن خوفنا من الآلهة مرده إلى جهل الناس، إذ إن الإنسان يحمل صورة وهمية ومشوهة عن جبروت الآلهة وتسلطها وهيمنتها على أقدارنا، فيبقى الإنسان مشغولاً في كسب رضاها وتجنب غضبها وعقابها، قلقاً على مصيره، مما يمنعه من البحث عن السعادة وتنظيم أمور حياته، وبهذا يظل أسير التعاسة والاضطراب والألم في سبيل استرضاء الآلهة.

والحل من وجهة النظر الأبيقورية، لخلاص الإنسان من مخاوفه حول الآلهة في التالي:

أ- تبيان أن الآلهة لا تأثير لها على حياة البشر أو الكون ونظامه: وذلك لأن الآلهة تحيا في سعادة مطلقة وتنعم بالهدوء والسكينة، غير مبالة بالعالم أو بمصير الإنسان، وبالتالي لا تكدر صفو حياتها ونعيم استقرارها، بتفاصيل حياة البشر وشؤون أيامهم، أي إنها لا تتدخل بهم وليس لها تأثير على مجرى حياتهم في الثواب والعقاب، فضلاً عن أن الآلهة لا دور لها في خلق الكون وبناء نظامه وتعاقب ظواهر، فكيف لها أن تشغل نفسها بتفاصيل البشر؟ لأنها إن فعلت ذلك ناقضت طبيعتها، فالسعادة لا تجتمع مع الهموم، وهذا ما أكده أبيقور عندما خاطب "هيرودوت": "**وفيما يتعلق بالأجرام السماوية لا يجب الاعتقاد بأن حركتها وتغير اتجاهها وكسوفها وشروقها وغروبها، وكل الظواهر الأخرى التي من نفس القبيل هي ناتجة عن فعل كائن منظم لها، وأن هذا الكائن يتمتع في نفس الوقت بالسعادة المطلقة وبالخلود؛ إذ المشاغل والهموم والغضب والمحاباة لا تتفق مع الغبطة، بل هي مقترنة بالضعف والخوف والتبعية**"[24].

نلاحظ أن أبيقور ينكر العناية الإلهية ونظرية الخلق التي تؤمن بها معظم الأديان[25]، وبالتالي: فإن الصورة التي يتصورها العامة عن الآلهة وحقدها وغضبها وتسلطها، ما هي إلاّ صورة مكتسبة من الأساطير والخرافات الشعبية، أي إنها محض أوهام ولا داعي للخوف منها، لأنها منشغلة بالأتراكسيا (السعادة المطلقة) غير مكترثة بما يجري في العالم، ولا بما يحدث مع البشر من تفاصيل.

---

(23) **أبيقور، الرسائل والحكم، ص87-ص88.**

(24) **أبيقور، الرسائل والحكم، "رسالة إلى هيرودوت"، ص187-ص188، فقرة 76، 77.**

(25) **إن تفسير أبيقور لنشوء العالم الطبيعي، كان له دوراً كبيراً في تخليص الإنسان من الخوف من الآلهة؛ فأخذ عن "ديمقريطس" مذهبه في الذرات، وارتأى أن العالم مكون من ذرات، لا دخل لقوة خارقة في تكوينها، ذرات لا عدد لها،= =أزلية، غير متجانسة، وفضاء لا يحده حد، يسمح لها بالحركة، وثقل طبيعي يحملها على الهبوط، وهبوطها يكون على خط مستقيم إلاّ أنها تنحرف قليلاً؛ فيلتقي بعضها بعضاً، فيتكون منها مركبات، ومن هذه المركبات يتكون العالم، وبالتالي لا حاجة للعناية الإلهية، وإن الآلهة باقية في عليائها ناعمة بالملذات والسعادة الأبدية، لا تتدخل في شؤون الخلق والبشر، ومن ثم لا داعي للخوف منها. انظر: الشرقاوي، محمد عبد الله، الفكر الأخلاقي "دراسة مقارنة"، دار الجيل، بيروت، 1990، ص104-ص105، وراجع أيضاً: قابيل، عبد الحي محمد، المذاهب الأخلاقية في الإسلام "الواجب – السعادة"، ص159.**

ب- الفهم الخاطئ للأديان: ويوضح فيلسوفنا هنا أن الناس تقلص الدين في صورة الرضا والغضب أو الثواب والعقاب، مما يزيد خوفهم من الآلهة، وهذا فهم خاطئ لدور الشرائع والمؤسسات الدينية والآلهة؛ لأن الخضوع للشرائع والآلهة ما هو إلاّ الاحتذاء بالمثل الأعلى للسعادة والكمال؛ أي إنها النموذج الكامل الذي يجب على الإنسان الحكيم (الفيلسوف) الاقتداء به، بوصفه المنظم لأفعاله وسلوكياته، في طريق الحصول على السعادة (الأتراكسيا)، أي على الإنسان أن يتشبه بالآلهة الهادئة، ويستبعد كل نوع من أنواع الاضطراب والخوف والقلق، ويعيش وسط الخيرات الأزلية، بسعادة مطلقة. فليس للآلهة وظيفة لاهوتية مطلقاً، إنها مثال أعلى، يعيد للإنسان استقراره وسعادته، وهذا ما تم تأكيده عند تحليل الخطاب الأبيقوري الديني؛ إذ إن هذا الخطاب لا يتمتع بوظيفة لاهوتية، وما هو إلاّ خطاب أخلاقي يندرج ضمن اللاهوت الأبيقوري الحقيقي، المتعلق بالإله الجديد الذي ليس هو غير الإنسان، ذلك الإنسان الذي ينظر إلى الآلهة على أنها النموذج أو المثال المنظم لأفعاله الخاصة فالآلهة تنعم بالسعادة الكاملة، وإن الصلاة والعبادة والقرابين والشعائر الدينية تسمح بمشاركتها لسعادتها، لا بل ومنافستها على تلك السعادة وتحصيل قدر أكبر[26].

وفي هذا أعاد أبيقور القيمة للإنسان بوصفه إنساناً، قادراً على التشبه بالآلهة بوصفها مثله الأعلى، كما منحه الحرية في اختيار كل ما يراه خيراً وسعادة لنفسه وفي هذا يتشابه مع السفسطائية التي اعتبرت الإنسان مقياس الأشياء جميعاً[27].

بهذا حاول أبيقور تحرير الفكر من معتقداته ومخاوفه من الآلهة، موضحاً أن هذه الآلهة منشغلة بسعادتها، ولا تفيدنا خيراً أو شراً، وكل ما علينا فعله هو احترامها ومشاركتها السعادة التامة من خلال التنازل عن كل ما يشغلنا في الحياة، لننعم مثلها بالأتراكسيا الحقيقية، أي الراحة والسكون والطمأنينة.

2- الخوف من الموت: إن الخوف من الموت وفناء النفس ويوم الحساب والوعيد والخلود، أفكار متأصلة في طبيعة العقل البشري، وهي مصدر للانفعالات السيئة الباعثة على القلق والاضطراب والتعاسة، لأن كل إنسان يعلم بأن مصيره لا محالة الموت.

وهذا أمر واقع لا يمكن تجاهله، إلاّ أن أبيقور حلّ هذه المخاوف على أمل تخليصنا منها بأن: الموت وهم من صنع أفكارنا ونسج خيالنا[28]، ينشأ هذا الوهم ويزداد كلما تصورنا أننا سنلتقي بالموت في أي لحظة، وهذا وهم زائف وخاطئ لأننا لن نلتقي بالموت أبداً، وتعليل ذلك بسيط؛ بأننا طالما نحن على قيد الحياة، فلا وجود للموت، وعندما نموت نكون غير موجودين، ومن ثم لن نراه، فضلاً عن عدم إحساسنا بالموت، نتيجة فناء النفس، وهذا ما أكده أبيقور في حكمه الأساسية قائلاً: "**الموت لا شيء بالنسبة إلينا، إذ يفقد الشيء الذي ينحلّ القدرة على الإحساس، والشيء الفاقد للإحساس هو لا شيء عندنا**"[29].

---

(26) **انظر: أبيقور، الرسائل والحكم، ص93.**

(27) **وفي هذا يعود أبيقور إلى مواقف السفسطائيين الذين كانوا يظهرون نسبية الشرائع والقيم، وأن حق الأقوى هو المطابق للطبيعة. انظر: بويانسي، بيار، أبيقورس، تعريب بشارة صارجي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1980، ص64-ص65.**

(28) **لقد بين شوبنهاور (Schopenhauer) انطلاقاً من نفس البرهان، أن الخوف من الموت والعدم يقوم على الخيال أكثر منه على العقل، بدليل أنه لو كان خوفنا من العدم خوفاً معقولاً، لكان خوفنا من العدم السابق على وجودنا أشد من الخوف من العدم التابع لهذا الوجود. انظر: أبيقور، الرسائل والحكم، ص102.**

(29) **أبيقور، الرسائل والحكم، "الحكم الأساسية"، الحكمة الثانية، ص209، وراجع أيضاً: الشرقاوي، محمد عبد الله، الفكر الأخلاقي "دراسة مقارنة"، ص105.**

نستنتج من ذلك إن الموت هو: انعدام الإحساس باللذة أو الألم، وبالتالي الموت ليس خيراً ولا شراً، بناء على مقياس اللذة عند أبيقور، بأن اللذة هي الخير، والألم هو الشر.

إذن لابد من التسليم بأن الموت هو حالة طبيعية وضرورية لكل الأشياء، ولا داعي من الخوف منه، وعلينا مقاومة مشاعر الرعب من الموت، لأن الموت لا شيء ومن الجهل والسخافة أن نخاف ونتحدث عن شيء غير موجود، وفي هذا إنكار لخلود النفس والبعث.

بهذا عمل أبيقور على تحرير الفكر الإنساني من مخاوفه من الآلهة والموت، بوصفها عقبات ومعوقات تقف في وجه سعادة الإنسان، وبإزالتها يكون قد خطا الخطوة الأولى في طريق الحصول على السعادة أو الأتراكسيا.

رابعاً: طريق السعادة:

بعد بحثنا في معنى السعادة ومعوقاتها، توصلنا إلى أنه يجب على الإنسان أن يسلك في الحياة الطريق المتوافق مع طبيعته وهو طريق اللذة وتحصيل السعادة التامة، وهذه مهمة الأخلاق عند أبيقور؛ إذ يؤكد أن اللذة أو المنفعة هي أبسط الطرق وأسهلها للوصول إلى الأتراكسيا – حالة الطمأنينة والهدوء – ومن ثم الحكمة؛ بمعنى آخر: إن تحصيل السعادة ليحيا الإنسان حياة لذيذة، متزنة خالية من الألم، مشروط بامتلاك الفضيلة والحكمة والبصيرة "**لا يمكن العيش في سعادة دون العيش بحكمة ونزاهة وعدل، ولا العيش بحكمة ونزاهة وعدل دون العيش في سعادة، إن من يكون فاقداً لإحدى هذه الأشياء، كأن لا يكون حكيماً مثلاً، لا يمكن له العيش في سعادة، حتى ولو كان نزيهاً وعادلاً**"[30].

نلاحظ من ذلك أن طريق السعادة قائم على امتلاك الفضائل الأخلاقية، هذه الفضائل التي تمنحنا الرؤية العقلية الصحيحة للأشياء. وتمنحنا بصيرة الفلاسفة الحكمة، ودون امتلاكها لا يكون هناك سعادة، وفي هذا قوة لطبيعة الأخلاق الأبيقورية القائمة في صورتها العامة على المنفعة وتحصيل اللذات، إلاّ أنها في مضمونها مرتبطة بالحكمة والعلم وطلب الفضائل؛ لأن تحصيل الفضائل هو الوسائل المساعدة للشخص في الوصل إلى السعادة والطمأنينة (الأتراكسيا)؛ أي إن تحصيل الفضائل لدى أبيقور لا قيمة له إلاّ بقدر ما يجلب للإنسان من اللذة والطمأنينة، ومن أهم الفضائل التي أوصى أبيقور بامتلاكها هي:

1- القناعة أو الاعتدال: وهي أهم الفضائل والمصدر الأساسي لباقي الفضائل الأخرى؛ لأن الاعتدال هو السر في تقوية اللذات وزيادتها، لا في إضعافها، إذ إنها تحفظ الصحة، وتطيل العمر، وبوجود الصحة والحياة تجتمع كل وسائل السعادة[31].

2- العفة: وتتجلى أهميتها في تحقيقها للذات أدوم وأطول من غيرها، حيث لا قيمة لهذه الفضيلة من ناحية تطهيرها للروح.

3- الشجاعة: وهي فضيلة ضرورية جداً في طيق تحصيل السعادة؛ لأنها تمنح الشخص القوة على ضبط رغباته وتنظيمها، وتبعده عن كل المخاوف والهموم، وتزيده صبراً إذا ما واجه المتاعب والآلام.

---

(30) أبيقور، الرسائل والحكم، "الحكم الأساسية"، الحكمة الخامسة، ص209، وراجع أيضاً: مطر، أميرة حلمي؛ الفلسفة عند اليونانية "تاريخها ومشكلاتها"، ص366.

(31) انظر: زقزوق، محمود حمدي، مقدمة في علم الأخلاق، ص81.

4- العدالة: إن العدالة اتفاق وتعاهد على تجنب الأذى ووضع ضوابط وقوانين تمنع الإنسان من التعدي على أخيه الإنسان، ورأى فيها أبيقور أداة تضمن للإنسان السلام والاستقرار، وتجنبه مخاوف الانتقام، وهذا ما يتوافق مع مطالب الأتراكسيا.

5- الصداقة: تعد الصداقة أسمى وأقدس الفضائل من وجهة نظر أبيقور، وفيها تجتمع مفاتيح السعادة؛ إذ تمنحنا الأمان، وتولد في نفوسنا الاطمئنان، ومن ثم نحصل على اللذة، كما إنها تعود بمنافع متبادلة على الأصدقاء؛ لأن الصديق يعين صديقه ويحميه ويدفع عنه الأذى والظلم والاعتداء، والحكيم بحاجة إلى أصدقاء لأن الصداقة مفيدة له، مؤكداً أن: "**كل ما يمكن أن توفره لنا الحكمة لتأمين سعادة الحياة، إن اكتساب الصداقة هو أكثر الأشياء ثمناً**"[(32)].

بناءً على ذلك يمكننا القول إن تحقيق السعادة يكون بتحصيل اللذة واجتناب الآلام والمخاوف من جهة، وتحصيل الفضائل من جهة أخرى، وبتظافرهما يقدم لنا أبيقور نظرية في السعادة والأخلاق، وفلسفة في السعادة تقوم في معناها العميق على القيم الأساسية للفعل الأخلاقي القائم على الحكمة واكتساب الفضيلة وتقديس الصداقة والأخوة الحقيقية، هذه الفضائل التي تقود الإنسان إلى الفلسفة والتأمل والسعادة.

خاتمة:

إن نظرية السعادة الأبيقورية كانت العلاج الجسدي والروحي والعقلي لمجتمع يعاني من الانقلابات الاجتماعية والانهيارات السياسية. وبعد حصرنا لمعنى السعادة عند أبيقور وأبعادها نجد أن:

1- ربط أبيقور السعادة بثنائية "اللذة – الألم"، إذ على الإنسان البحث عن كل ما يجلب اللذة، وتجنب كل ما هو مؤلم.

2- عالج السعادة على أنها الأتراكسيا وهي طمأنينة النفس وهدوء الروح، وفي سبيل الوصول إلى السعادة دعا الإنسان إلى الخلاص من المخاوف والشرور التي تسلبه أسباب سعادته.

3- إن الطريق المؤدي إلى السعادة قائم على اكتساب الفضائل التي هي جوهر الفعل الأخلاقي، وفي هذا رد على النقد الذي وجه للأخلاق الأبيقورية بأنها مذهب في الأنانية أو اللذة الشخصية.

4- تتضح آثار أبيقور في مذهب اللذة عند هوبز في مذهب المنفعة الفردية (1588-1676)، وفي مذهب المنفعة العامة عند بنتام (1748-1832).

References:

1. Ibn Meskouya, the refinement of ethics and cleansing of races, the realization of Ibn al-Khatib, publishing the library of religious culture, without history.
2. Ibn Manzoor, San Arabs, Dar Al-Maaref, Cairo, 1981.
3. Epicurus, letters and governance, study and translation: Jalaluddin Said, the Arab Book House, Tunis, 1991.
4. Arajil, Michael, The Psychology of Happiness, Translated by Faisal Abdul Qader Younis, Review of Shawki Jalal, World of Knowledge, Kuwait, January, 1993.
5. Amin, Ahmed, book ethics, the Egyptian House of Books, Cairo, i 3, 1931.
6. Al-Sharqawi, Mohammed Abdullah, Ethical Thought "Comparative Study", Dar Al-Jeel, Beirut, 1990.
7. Al-Farabi, A Message of Happiness, A Study and Achievement of Sahban Khalifat, University of Jordan, Amman, 1987.

(32) **بويانسي، بيار، أبيقورس، ص68.**

8. Al-Maliti, Thales, History of Philosophers, Translation of Mr. Abdullah Hussein, Library of Religious Culture, Cairo, 2007.
9. Ben Zakaria, Ahmed Ben Fares, Dictionary of Language Standards, Achieved by Abdul Salam Haroun, Dar Al Fikr, Beirut, 1979, c.
10. Bouyancy, Pierre, Epicurus, Arabization of Bishara Sarji, Arab Foundation for Studies, Beirut, 1980.
11. Jafar, Abdel Wahab, a note in the philosophy of morality, Alexandria University, 1991.
12. Hanafi, Abdel Moneim, Comprehensive Glossary of Philosophy Terminology, Madbouly Library, Cairo, 3rd floor, 2000.
13. Rashwan, Mohamed Mehran, The Development of Moral Thought in Western Philosophy, Dar Qubaa Press, Cairo, 1998.
14. Zaqzouq, Mahmoud Hamdi, Introduction to Ethics, Dar Al-Qalam, Beirut, 3rd floor, 1983.
15. Ziada, Maan, The Arab Philosophical Encyclopedia, Arab Development Institute, Beirut, 1988, Vol. 1.
16. Osman, Salah El-Din, Ethics and doctrines, Al-Neelain University Press, Khartoum, 1995.
17. Kabil, Abdul Hay Mohammad, Ethical doctrines in Islam "duty and happiness", House of Culture for Publishing, Cairo, 1984.
18. Madkour, Ibrahim, Philosophical Dictionary, General Authority for Emiri Printing Press, Cairo, 1983.
19. Murad, Said, the theory of happiness among the philosophers of Islam, appointed for human studies and social research, Cairo, 2001.
20. Matar, Amira Helmy, Greek Philosophy "History and Problems", Dar Qubaa for Printing and Publishing, Cairo, 1998.
21. Wahba, Mourad, Philosophical Dictionary, Dar Quba Modern, Cairo, 2007.